حركةُ التيسيرِ اللغوي عندَ القدماءِ: المدارسُ المعجميّةُ أنموذجاً

The movement of linguistic facilitation in the ancients: lexical schools as an example

أ.م.د. **حيدر عبد علي حميدي**: قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، العراق

Asssit. Prof. Dr. Haider Abed Ali Hamidi: Department of Arabic language, Faculty of Education for Human Sciences, University of Karbala, Iraq

Email: haydaralamerry@gmail.com

ملخص:

لا يخفى علينا أنّ لغتَنا العربيةَ ضمتْ الكثيرَ من المعجماتِ، وكلُّ معجمٍ منها سارَ على نظامٍ معينٍ في ترتيبِ ألفاظِه، انتظمتْ هذه المعجماتُ على شكلِ مجموعاتٍ، تُعرفُ باسمِ (مدرسة)، كلُّ مدرسةٍ منها لها طريقتُها الخاصّةُ بها في ترتيبِ ألفاظِها، ما اختلافُ طرقِ تأليفِ هذه المعجماتِ إلا لغايةٍ تيسيريةٍ؛ يرومُ أصحابُها من خلالِها أن يجعلوا الباحثَ يصلُ إلى غايتِه بصورةٍ سهلةٍ يسيرةٍ؛ لذا يسعى هذا البحثُ إلى الوقوفِ على الجهدِ التيسيري لعلماءِ العربيةِ الأوائلِ فيما تركوا لنا من معجماتٍ، التي ضمت مفرداتِ اللغةِ العربيةِ، والتعرفِ على الطرقِ التي اتبعوها من أجلِ تحقيقِ هذا الهدفِ. ولتحقيقِ أهدافِ البحثِ استعملَ الباحثُ منهجينِ من مناهجِ البحثِ اللغوي، هما: المنهج الوصفي، والمنهج التحليلي. وتوصلَ البحثُ إلى مجموعةٍ من النتائجِ، إذ كشفَ لنا أنّ كثرةَ وجودِ المعجماتِ في اللغةِ العربيةِ كانت لغايةٍ تيسيريةٍ، وليست اعتباطيةً، مع تنوعِ طرقِ التيسيرِ المتبّعةِ، وأهمُها ابتكارُ منهجٍ لترتيبِ مفرداتِ المعجمِ.

الكلمات المفتاحية: التيسير، التيسير اللغوي، المدرسة، المعجم، المدارس المعجمية.

Abstract:

It is no secret that our Arabic language contains many dictionaries, Each lexicon followed a specific system in arranging its words, These dictionaries were organized into groups, It is called a school, each of which has its own way of arranging its words, Each school has its own way of arranging its words, What are the different ways of composing these dictionaries except for the sake of convenience, Its owners want through it to make the researcher reach his goal in an easy and easy way, Therefore, this research seeks to stand on the facilitation effort of the first Arab scholars in what they left us of dictionaries, Which included the vocabulary of the Arabic language, And learn about the methods they followed in order to achieve this goal.

keywords: Facilitation, linguistic facilitation, school, lexicon, lexical schools.

المقدمة:

في أواخرِ القرنِ الأوّلِ، وبالتحديدِ بعد انتهاءِ الحربِ بين المسلمينَ وأعدائهِم اتّجهَ المسلمونَ إلى الاهتمامِ بلغةِ القرآنِ الكريمِ، وجمعِ اللغةِ والأدبِ؛ لاستنباطِ القواعدِ؛ حفاظًا على اللغةِ العربيةِ من الضياعِ[1]، إلا أنَّ هذا الجمعَ والتدوينَ لم يكونا على تنسيقٍ معيّنٍ "فالعالِمُ يرحلُ إلى الباديةِ يسمعُ كلمةً في المطرِ، ويسمعُ كلمةً في اسمِ السيفِ، وأخرى في الزرعِ والنباتِ، وغيرِهما في وصفِ الفتى أو الشيخِ إلى غيرِ ذلك، فيدوّنُ ذلك كلَه حسبما سمعَ من غيرِ ترتيبِ السماعِ"[2].

ولا يخفى علينا العشوائية التي حوتها هذه الرسائلُ اللغويةُ غيرُ المتخصصةِ التي جمعَ فيها أصحابُها كلَّ ما صادفَهم من كلامِ العربِ من دونِ أيّ ضابطٍ يُذكرُ، وهذه العشوائيةُ أدّتْ إلى الصعوبةِ والعسرِ عندَ البحثِ عن مفردةٍ معيّنةٍ، ومن أجلِ رفعِ هذه الصعوبةِ واستبدالِ العسرِ باليسرِ " وضعَ العلماءُ واللغويونَ الأحكامَ والقواعدَ لما يمكنُ أن يدخلَ تحتَ بابِ معجماتِ اللغةِ أو معجماتِ الألفاظِ، وهو أن تكونَ الكلماتُ مرتّبةً على نمطٍ خاصّ بشكلٍ يسهلُ على من أرادَ أن يعرفَ معنى كلمةٍ ما في المعجمِ...؛ لأنّ من أهدافِ المعجميينَ واللغويينَ المهمة في تقعيدِ القواعدِ المعجميةِ التيسيرِ والسهولةِ للباحثِ عن كلامِ العربِ أو جزءٍ منه"[3]، لذلك ظهرت لدينا مجموعةٌ من معجماتِ اللغةِ لتقومَ بهذه المهمةِ، انتظمتْ في مجموعاتٍ(مدارس)، كلٌّ مجموعةٍ منها سارت على منهجٍ معيّنٍ؛ قصدتْ التيسيرَ في تقديمِ ألفاظِ اللغةِ إلى الباحثينَ.

مشكلة البحث:

الذي يتطلعُ إلى ما ألّفَهُ علماؤنا القدماءُ من مؤلفاتٍ تُعنى بجمعِ الألفاظِ، والكشفِ عن معانيها، يجدُ ذلك النتاجَ لافتًا للنظرِ؛ بسببِ كثرتِه، على الرغمِ من أنَّ الألفاظَ نفسُها، والمعاني كذلك، وتبقى طريقةُ كلِّ مؤلّفٍ في ترتيبِ بضاعتِه اللغويةِ وعرضِها فارقًا فاصلًا بينَ هذه المعجماتِ على اختلافِها.

ومما تقدّمَ نقولُ: هل كان لكثرةِ المعجماتِ في اللغةِ العربيةِ من مبررٍ وجيهٍ؟ وما الطرقُ التي اتبعَها العلماءُ في سبيلِ تحقيقِ الغايةِ التي كانوا يرجونها من مؤلفاتِهم؟ وهل فعلًا استطاعَ القدماءُ تحقيقَ غايتِهم؟

([1]) يعقوب، إميل بديع، المعاجم اللغوية العربية–بداءتها وتطورها–، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.: 26، والحر، عبد المجيد، المعجمات والمجامع العربية –نشأتها–أنواعها–نهجها–تطورها، ط1، دار الفكر العربي، بيروت–لبنان، 1994م: 18–19.

([2]) أمين، أحمد، ضحى الاسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م: ج2/263–264.

([3]) ذياب، محمد عبد، ارهاصات المدارس المعجمية العربية وتطورها، بحث منشور في مجلة الباحث، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الفلوجة، عدد(2)، مجلد(13)، 2021 م: 28.

منهجيةُ البحثِ:

اعتمدَ هذا البحثُ على منهجينِ من مناهجِ البحثِ اللغوي هما: المنهجُ الوصفيّ، والمنهجُ التحليليّ. فبالمنهجِ الوصفي استطعنا أن نصفَ منهجَ كلِّ مدرسةٍ معجميةٍ، وبعد ذلك نحللُ هذا المنهجَ بوساطةِ المنهجِ التحليلي؛ لنتعرّفَ على طريقةِ كلِّ معجمٍ في ترتيبِه ألفاظِ اللغةِ وتنظيمِها.

أهدافُ البحثِ:

يهدف البحثُ إلى:

1- الكشفِ عن حركةِ التيسيرِ التي اتبعَها القدماءُ في تأليفِ معجماتِهم؛ من أجلِ تسهيلِ عمليةِ البحثِ عن الألفاظِ في معجماتِهم.

2- عرضِ الطرقِ التي اتبعَها القدماءُ في تأليفِ معجماتِهم، التي يرونَها تحققُ غايتَهم المنشودةَ.

المبحث الأوّل: المدرسة الأولى: مدرسة العين:

عندما أرادَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديّ (ت175هـ) أنْ يضعَ معجمًا لغويًّا كانَ أمامَه نظامانِ لترتيبِ المفرداتِ، هما: النظامُ الأبجدي القديمُ (أبجد هوز...)، والنظامُ الألفبائي الحديثُ (أ ب ت ث...)، لم يقنعْ الخليلُ بهذينِ النظامينِ ليجعلَ أحدَهما نظامًا يؤلّفُ عليه معجمَه؛ لأنَّ النظامَ الأوّلَ يبدأ بالهمزةِ " ذلك الحرفُ الذي هزمَ أستاذَه أبا عمرو بن العلاءِ، وأتعبَ كلَّ من تصدّى له، ولا صورةَ ثابتةً له في النطقِ أو الكتابةِ "[1]. لذلك وجدَ الخليلُ هذا الترتيبَ –بهذه الكيفيةِ– "علميًّا منطقيًّا سهلًا قريبًا من الحفظِ لا تتداخلُ فيه الأشياءُ وتمتزجُ دونَ صلةٍ أو تشابهٍ؛ فرغبَ في ترتيبِ الحروفِ على المخارجِ "[2]، وهو بهذا الترتيبِ الصوتي ركنَ إلى نظامٍ ثابتٍ لا يشوبُه التغييرُ، بخلافِ لو بدأ الترتيب بالنظامِ الأبجدي القديمِ، أو النظامِ الألفبائي الحديثِ لكانَ قد بدأ بصوتٍ لا يثبتُ على حالٍ واحدةٍ، وهو (الهمزةُ) أو (الألفُ).

زِدْ على ذلك أنَّ لهذا الترتيبِ الصوتي الذي ابتكره الخليلُ ميزتانِ أخرَيانِ، هي[3]:

1- استطاعَ الخليلُ أن يجمعَ الأصواتَ المتشابهةَ بالنطقِ، فأصبحت الحاء قربَ الهاءِ، والخاء قربَ الغين.

([1]) نصّار، حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، ط4، دار مصر للطباعة، 1988م، ج4، ص175.

([2]) العش، يوسف، أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن احمد، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، العدد (10)، 1941م: 463.

([3]) المرجع السابق: ص462.

2- إنّ الأصواتَ المتشابهةَ في المخارجِ، لا يمتزجُ بعضُها مع بعض في تأليفِ الألفاظِ إلا نادرًا. لذلك نجدُ الخليلَ يقولُ مثلًا: " إنّ العينَ لا تأتلفُ مع الحاء في كلمةٍ واحدةٍ لقربِ مخرجيهما إلا أن يُشتقَّ فعلٌ من جمعٍ بين كلمتينِ مثلُ(حيَّ على)... تقولُ منه: حيعلَ يحيعِلُ حيعلةً " [1].

بعدَ أن اختارَ الفراهيدي النظامَ الذي يسيرُ وفقَه في ترتيبِ الكلماتِ في معجمِه، قسّمَ المعجمَ على مجموعةِ كتبٍ، كلُّ صوتٍ يمثّلُ كتابًا، على النحوِ الآتي: (كتاب العين، وكتاب الحاء، وكتاب الهاء... ألخ)، ثمَّ فكّرَ في كيفيةِ ترتيبِ المفرداتِ داخلَ الكتابِ الواحدِ " ولم يجشمْه ذلكَ مشقّةً إذ كانَ الصرفيونَ قد فرغوا منه. فالكلماتُ العربيةُ إمّا ثنائيةٌ أو ثلاثيةٌ أو رباعيةٌ أو خماسيةٌ ولا شيءَ غيرُ ذلك... فجعلَ هذه الأبنيةَ أساسَ تقسيمِ الكتبِ إلى أبواب" [2].

أرادَ الفراهيدي أن يحصرَ الكلماتِ داخلَ كلِّ بناءٍ من الأبنيةِ التي ذكرَها في كلِّ كتابٍ، ذلك الحصرُ الذي يضمنُ له معرفةَ الأبنيةِ المستعملةِ والمهملةِ في كلامِ العربِ، فاهتدى بفكرِه الرياضي إلى نظامِ التقاليبِ، وسمّيَ بهذا الاسمِ؛ لأنّه كانَ يقلّبُ حروفَ الكلمةِ الواحدةِ في مواضعَ مختلفةٍ فرأى أنَّ حرفَ العينِ –مثلًا– يمكنُ أن يكونَ في موضعينِ في البناءِ الثنائي، فيمكنُ أن يكونَ الحرفَ الأولَ، ويمكنُ أن يكونَ الحرفَ الثاني، وفي البناءِ الثلاثي يكونُ في ثلاثةِ مواضعَ أولًا أو ثانيًا أو ثالثًا، وفي البناءِ الرباعي يكونُ في أربعةِ مواضعَ أولًا أو ثانيًا أو ثالثًا أو رابعًا، وفي البناءِ الخماسي يكونُ في خمسةِ مواضعَ أولًا أو ثانيًا أو ثالثًا أو رابعًا أو خامسًا[3]. وعلى نحوِ الحسابِ الرياضي يكونُ الناتجُ كما هو موضّحٌ في أدناه:

1- البناءُ الثنائي ليس له إلا وجهانِ.

2- البناءُ الثلاثي له ستةُ وجوهٍ؛ إذ لكلِّ حرفٍ وجهانِ، وناتجُ ضربِ وجهينِ في ثلاثةِ أحرفٍ هو ستةُ وجوهٍ.

3- البناءُ الرباعي له أربعةٌ وعشرونَ وجهًا؛ إذ لكلِّ حرفٍ ستةُ وجوهٍ، وناتجُ ضربِ ستةِ وجوهٍ في أربعةِ حروفٍ هو أربعةٌ وعشرونَ وجهًا.

4- البناءُ الخماسي له مائةٌ وعشرونَ وجهًا، إذ لكلِّ حرفٍ أربعةٌ وعشرونَ وجهًا، وناتجُ ضربِ أربعةٍ وعشرينَ وجهًا في خمسةِ حروفٍ هو مائةٌ وعشرونَ وجهًا.

([1]) الفراهيدي كتاب، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت175هـ)، العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، العراق، 1980م: . ج1، ص60.

([2]) المعجم العربي نشأته وتطوره: ج1، ص176.

([3]) المرجع الساب، ج1، ص167.

وإذا بحثنا عن سببِ تأليفِ الخليلِ لمعجمِه وجدناه أرادَ أن ييسّرَ على الباحثينَ عن معاني الكلماتِ في اللغةِ، إذ نجدُه يصرّحَ بهذا الأمرِ في قولِه: "بدأنا في مؤلفِنا هذا بالعينِ وهو أقصى الحروفِ، ونضمُّ إليه ما بعدَه حتى نستوعبَ كلامَ العربِ الواضحِ والغريبِ. وبدأنا الأبنيةَ بالمضاعفِ؛ لأنّه أخفُّ على اللسانِ وأقربُ مأخذًا للمتفهمِ"[1]، فجمعُ الكلماتِ في معجمٍ على وفقِ نظامٍ وترتيبٍ معينينِ –بعد أن كانت هذه الكلماتُ عشوائيةً– يعدُّ تيسيرًا بحدِّ ذاتِه على جميعِ الباحثينَ في كلماتِ اللغةِ.

استطاعَ الخليلُ –في ضوءِ ترتيبِ الأبنيةِ– أن يستقصيَ كلَّ الأبنيةِ التي استعملَها العربُ في كلامِهم، وهي فكرةٌ غايتُها التيسيرُ على الباحثِ في المعجمِ، وكذلك استطاعَ بوساطةِ نظامِ التقليباتِ الذي سارَ عليه في كلِّ بناءٍ أن يحصرَ الكلماتِ المستعملةَ والمهملةَ في كلامِ العربِ؛ " ليتيسّرَ بذلك الحصرُ ولا يكرر شيئًا منها"[2].

<u>الموادُّ اللغويةُ:</u>

بعد أن قسّمَ الخليلُ معجمَه على مجموعةِ كتبٍ كلّ كتابٍ منها يمثلُ حرفًا من حروفِ العربيةِ الصحاحِ، عمدَ إلى توزيعِ الكلماتِ على أربعةِ أبوابٍ هي[3]:

1- باب الثنائي.

2- باب الثلاثي.

3- باب الرباعي.

4- باب الخماسي.

نجدُ الخليلُ في باب الثنائي يذكرُ الثنائي المضاعفَ الذي أُدغِمَ مثلاه[4]، ويبيّنُ سببَ ذلك في قولِه: "وبدأنا الأبنيةَ بالمضاعفِ، لأنّه أخفُّ على اللسانِ وأقربُ مأخذًا للمتفهمِ"[5].

ونفهمُ من هذا النصِّ اهتمامَ الخليلِ بالتيسيرِ على الباحثِ في معجمِه، فهو يحاولُ أن يتبعَ كلَّ ما من شأنِه أن يحققَ هذه الغايةَ (التيسير) في تقديمِ المادةِ المعجميةِ للباحث.

([1]) كتاب العين: ج1، ص60.
([2]) المعجم العربي نشأته وتطوره: ج1، ص176.
([3]) كتاب العين: ج1، ص48.
([4]) المعجم العربي نشأته وتطوره: ج1، ص196.
([5]) كتاب العين: ج1، ص60.

وحقيقةُ الثنائي المضاعفِ هو ثلاثي في أصلِه وثنائي في صورتِه، والخليلُ يذكرُه في بابِ الثنائي الصحيحِ، نحوَ ما نجدُه في مادة (عق) مثلًا، إذ يقولُ: "العربُ تقولُ: عقَّ الرجلُ عن ابنِه يعِقُّ إذا حلقَ عقيقَتَه وذبحَ عنه شاةً وتسمّى الشاةُ التي تُذبحُ لذلك: عقيقة"[1]. ويقولُ في مادةِ (عض) أيضًا: "العضُّ بالأسنانِ والفعلُ منه عضضتُ أنا وعضَّ يعضُّ. وتقولُ: كلبٌ عضوضٌ وفرسٌ عضوضٌ" [2].

أي أنَّ الخليلَ ينظرُ إلى صورةِ الكلمةِ وينسبُها إلى بابِها، فهي وإن كانت ثلاثيةَ الأصلِ إلا أنّه يذكرُها في بابِ الثنائي بلحاظِ صورتِها المكوّنةِ من حرفينِ، وكان يذكرُ –أيضًا– في بدايةِ البابِ فيما لو كانت الموادُّ اللغويةُ مستعملةً في الكلامِ أو مهملةً [3]، ولا يخفى علينا ما لهذه الطريقةِ من تيسيرٍ على الباحثينَ في هذا المعجمِ.

زِدْ على ذلك أنّ الخليلَ كانَ " يشرحُ المادةَ ومقلوباتِها في موضعٍ واحدٍ، بعدَ أن يذكرَ في صدرِ حديثِه عنها ما استُعمِلَ من تصاريفِها وما أُهمِلَ...ثمَّ يبدأُ في شرحِ التصريفاتِ المستعملةِ تصريفًا بعدَ آخرَ، وشرحُ التصريفاتِ مجتمعةً في مكانٍ واحدٍ لابدَّ قد نبّهَ الأذهانَ من بعد إلى ما بينها من صلةٍ مشتركةٍ...فالخليلُ إذًا هو أوّلُ من نبّهَ إلى هذه الخصّيصةِ من خصائصِ اللغةِ "[4]، فهي توفّرُ نوعًا من التسهيلِ (التيسيرِ) على الباحثِ وتساعدُه في معرفةِ العلاقةِ التي تربطَ بينَ كلماتِ الجذرِ اللغوي الواحدِ.

ومن المعجماتِ التي سارتْ على نهجِ (كتابِ العينِ) في تأليفِها هي:

1- معجم البارع في اللغة لإسماعيل بن القاسم القالي (ت356هـ).

2- تهذيب اللغة للأزهري (ت370هـ).

3- المحيط للصاحب بن عبّاد (ت385هـ).

4- المحكم لابن سيدة (ت458هـ)

(1) المصدر السابق: ج1، ص62.
(2) المصدر السابق: ج1، ص72.
(3) المصدر السابق: ج1، ص82-85.
(4) أحمد، عبد السميع محمد، المعاجم العربية دراسة تحليلية، ط4، القاهرة، دار الفكر العربي، 1984م: ج1، ص29.

وتوجودُ اختلافاتٌ بين هذه المعجماتِ ومعجمِ الخليلِ في ترتيبِ الأصواتِ، وعددِ الأبنيةِ، فنجدُ القالي يضعُ صوتَ الهاءِ في بدايةِ ترتيبِ الأصواتِ[1]، وكذلك فرّقَ بين الأبنيةِ التي جعلَها الخليلُ في بابٍ واحدٍ؛ إذ حصّصَ لكلِّ واحدٍ منها بابًا مستقلًّا، وأصبحت ستةَ أبوابٍ هي: (الثنائي المضاعف، والثلاثي الصحيح، والثلاثي المعتل، والحواشي أو الأوشاب، والرباعي، والخماسي)[2].

ويذكرُ الأزهري في مقدمةِ معجمِه السببَ الذي دعاه إلى تأليفِه؛ إذ يقولُ: "وقد سميتُ كتابي هذا (تهذيب اللغة)؛ لأنّي قصدتُ بما جمعتُ فيه نفيَ ما أدخلَ في لغاتِ العربِ من الألفاظِ التي أزالَها الأغبياءُ عن صيغتِها، وغيّرَها الغُتمُ عن سننِها، فهذبتُ ما جمعتُ في كتابي من التصحيفِ والخطأ بقدرِ علمي، ولم أحرصْ على تطويلِ الكتابِ بالحشوِ الذي لم أعرف أصلَه، والغريبِ الذي لم يسندْه الثقاتُ إلى العربِ"[3].

مظاهرُ التيسيرِ واضحةٌ في كلامِ الأزهري؛ إذ أرادَ بمعجمِه أن يهذّبَ ما لحقَ اللغةَ من شوائبِ الخطأ والتصحيفِ، وتهذيبِها من الحشوِ والغريبِ، والالتزامَ بما سمعَه من أفواهِ العربِ الذين عايشَهم أقامَ بينَهم.

ونرى ابنَ سيدة زادَ على أبنيةِ الخليلِ بناءً واحدًا وهو السداسي[4]. ويحدّثُنا عن التيسيرِ الذي يفهمُه القارئ من مقدمةِ المؤلفِ، إذ يقولُ: "إنّ كتابَنا هذا مشفوعٌ المِثلَ بالمثلِ، مقترنٌ الشكل بالشكلِ، لا يفصلُ بينهما غريبٌ، ولا أجنبيٌّ بعيدٌ ولا قريبٌ، مهذّبُ الفصولِ، مرتّبُ الفروعِ بعد الأصولِ...هذا إلى ما تحلّى به من التهذيبِ والتقريبِ، والاشباعِ والاتساعِ، والايجازِ والاختصارِ، مع السلامةِ من التكرارِ، والمحافظةِ على جمعِ المعاني الكثيرةِ، في الألفاظِ اليسيرةِ...ومن غريبِ ما تضمنه هذا الكتابُ: تمييزُ أسماءِ الجموعِ من الجموعِ، والتنبيهُ على الجمعِ المركّبِ، وهو الذي يسميه النحويون جمعَ الجمعِ، فإنّ اللغويين جمًّا لا يميزون الجمعَ من اسمِ الجمعِ، ولا ينبّهون على جمعِ الجمعِ"[5].

---

(1) القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت356هـ)، البارع في اللغة، تحقيق: هاشم الطعان، ط1، دار الحضارة العربية، بيروت، 1975م: 81.

(2) المصدر السابق: مقدمة المحقق: 71، والمعجم العربي نشأته وتطوره: ج1، ص247.

(3) الازهري، تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد (ت370هـ)، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، 1964م: ج1، ص54.

(4) المعجم العربي نشأته وتطوره: ج1، ص287.

(5) ابن سيدة، علي بن إسماعيل (ت458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، ط1، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، 1958م: ج1، ص8-9.

المبحث الثاني: المدرسة الثانية: مدرسة الجمهرة:

جاءت هذه المدرسةُ لتُيسّرَ على الباحثِ استخراجَ الكلماتِ من المعجمِ؛ إذ "أطلَّ علينا عالمٌ يبسّطُ طريقةَ الفراهيدي في كتابِ الجمهرةِ في اللغةِ، وهو ابنُ دريدٍ الأزدي وقد سجّلَ بذلك حلولَ مدرسةٍ معجميةٍ تربّعتْ القرنَ الهجري الثالثَ وأوائلَ القرنِ الرابعِ"[1]، وقد ضمّتْ هذه المدرسةُ ثلاثةَ معجماتٍ هي[2]:

1- جمهرة اللغة لابن دريد (ت321هـ).

2- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ت395هـ).

3- مجمل اللغة لأحمد بن فارس.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ الباحثَ عن كلمةٍ في معجماتِ المدرسةِ الأولى لا يمكنُه أن يصلَ إلى مواقعِها فيها إلا أن يكونَ بارعًا في التصريفِ ويعرفَ الزائدَ من الأصلي والمعتلَّ والصحيحَ وأنواعَ الأبنيةِ من الثلاثي والرباعي والخماسي ومواقعَ الأصواتِ في مخارجِها [3]، وهذا مما لا شكَّ فيه لا يكونُ متاحًا لكلِّ طالبٍ ولا متّصفًا به؛ لذلك جاءتْ هذه المدرسةُ كي تُيسّرَ على الباحثينّ مطلبَهم في أثناءِ عمليةِ البحثِ عن الكلماتِ.

وهذه المهمّةُ قد أشارَ إليها أصحابُ معجماتِ هذه المدرسةِ في مقدماتِ معجماتِهم التي ألّفوها.

إذ يقولُ ابنُ دريد في مقدمةِ معجمِه: " وقد ألّفَ أبو عبد الرحمن الخليلُ بنُ أحمدُ الفراهيدي رضوان الله عليه (كتاب العين) فأتعبَ من تصدّى لغايتِه وعنّى من سما إلى نهايتِه... لكنّه رحمَه اللهُ ألّفَ كتابَه مشكلًا لثقوبِ فهمِه وذكاءِ فطنتِه وحدّةِ أذهانِ أهلِ دهره...وأملينا هذا الكتاب والنقص في الناسِ فاشٍ والعجزُ لهم شاملٌ إلا خصائص كدراريّ النجومِ في أطرافِ الافق فسهّلنا وعرَه ووطأنا شأزه"[4]، وقالَ عن سببِ تسميةِ معجمِه بـ (الجمهرةِ): " وإنّما أعرناه هذا الاسمَ لأنّا اخترنا له الجمهورَ من كلامِ العربِ وأرجأنا الوحشيَ المستنكرَ "[5].

([1]) المعجمات والمجامع العربية: 42-43.

([2]) المعجم العربي نشأته وتطوره: ج370/2.

([3]) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط3، القاهرة، مكتبة دار التراث، ج1، ص91.

([4]) الأزدي، ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن البصري(ت321هـ)، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، ت: ج1، ص3.

([5]) المصدر السابق: ج1، ص4.

ويقولُ ابنُ فارسٍ في مقدمةِ (مقاييسِه): " إنَّ للغةِ العربِ مقاييسَ صحيحةً وأصولًا تتفرعُ منها فروعٌ. وقد ألّفَ الناسُ في جوامعِ اللغةِ ما ألّفوا، ولم يُعربوا في شيءٍ من ذلك عن مقاييسَ من تلك المقاييسِ، ولا أصلٍ من الأصولِ...وقد صدّرنا كلَّ فصلٍ بأصلِه الذي يتفرّعُ منه مسائلُه، حتى تكونَ الجملةُ الموجزةُ شاملةً للتفصيلِ، ويكونَ المجيبُ عما يُسألُ عنه مجيبًا عن البابِ المبسوطِ بأوجزِ لفظٍ وأقربِه"[1].

ويذكرُ في مقدمةِ (مجمل اللغة) غايتَه من تأليفِه؛ إذ يقولُ: "إني لما شاهدتُ كتابَ العينِ الذي صنّفَه الخليلُ بنُ أحمدَ ووعورةَ ألفاظِه، وشدّةَ الوصولِ إلى استخراجِ أبوابِه...أنشأتُ كتابي هذا بمختصرٍ من الكلامِ قريبٍ، يقلُّ لفظُه، وتكثرُ فوائدُه، ويبلغُ بكَ طرفًا مما أنت ملتمسه، وسميتُه مجملَ اللغةِ؛ لأني أجملتُ الكلامَ فيه إجمالا، ولم أكثّرْه بالشواهدِ والتصاريفِ؛ إرادةَ الإيجازِ"[2].

مظاهرُ التيسيرِ في المدرسةِ الثانيةِ:

من الممكنِ أنْ نلحظَ مظاهرَ التيسيرِ متجسّدةً في معجماتِ هذه المدرسة على النحوِ الآتي:

1- تركُ النظامِ الذي سارتْ عليه المدرسةُ الأولى (مدرسة العين) وهو (النظام الصوتي) واتباعُ نظامٍ جديدٍ وهو النظامُ (الألفُ بائي)، يقول ابنُ دريد: "وأجريناه على تأليفِ الحروفِ المعجمةِ إذ كانت بالقلوبِ أعبقَ وفي الأسماعِ أنفذَ وكانَ علمُ العامّةِ بها كعلمِ الخاصةِ وطالبها من هذه الجهةِ بعيدًا من الحيرةِ على مرادِه"[3]، فهذه المدرسةُ بمعجماتِها الثلاثةِ سارت في ترتيبِ ألفاظِها على النظام (الألف بائي) الذي يألفُه العامّةُ والخاصّةُ من أهلِ العربيةِ. فنجد معجمات هذه المدرسة يفتتحون معجماتِهم بالجذر (أبّ)[4]، كونَه يبدأ بالألف.

2- اختيارُ المستعملِ من كلامِ العربِ، فلم تذكرْ معجماتُ هذه المدرسة ما أُهمل من الكلامِ. كما جاء في معجم العين من معجمات المدرسة الأولى[5].

3- الابتعادُ عن الغريبِ والوحشي من الألفاظِ.

([1]) ابن فارس، لأبي الحسين أحمد بن زكريا (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ت: ج1، ص1.

([2]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا اللغوي (ت395هـ)، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط.2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م: 75.

([3])جمهرة اللغة: ج1، ص3.

([4]) جمهرة اللغة: ج1، ص13، ومقاييس اللغة: ج1، ص6، ومجمل اللغة: ج1، ص78.

([5]) العين: مادة (ذع) ج1، ص84.

4- جعلُ الألفاظِ أصولًا تتفرعُ منها ألفاظٌ أخرى، كما صنعَ ابنُ فارسٍ في مقاييسِه، وهذا من شأنِه أن يُسهلَ على الباحثِ أن يُرجعَ الألفاظَ إلى أصلٍ واحدٍ أو أكثر من أصلٍ؛ لما في ذلك من إيجازٍ وشمولٍ في رصدِ ألفاظِ اللغةِ[1].

5- استطاعَ ابنُ فارس أن ييسّرَ أكثر من الخليلِ وابنِ دريد في تقسيمِ الأبنية داخل الكتابِ الواحدِ(الحرف)؛ إذ اقتصرَ في ذلك على ثلاثةِ أبنيةٍ فقط هي: الثنائيُّ المضعّفُ والثلاثيُّ وما زادَ على الثلاثيّ من الأبنيةِ.

6- ومن مظاهر التيسير عند ابنِ فارسٍ أنّه يراعي صورةَ اللفظةِ فيوردُها بحسبِ صورتِها المنطوقةِ، ويذكرُها في بابِها أيضًا، مثلُ ذلك لفظةُ (تراث) التي أوردَها في (ترث) وفي (ورث)[2].

المبحث الثالث: المدرسة الثالثة (مدرسة القافية):

تضمُّ هذه المدرسةُ مجموعةً من المعجماتِ، هي: الصحاح، والعباب، واللسان، والقاموس المحيط، وتاج العروس، إذ ابتدع رائد هذه المدرسةِ وهو الجوهريّ نظامًا جديدًا في ترتيبِ ألفاظِ المعجمِ قرّبَ اللغةَ إلى الباحثين عن معاني ألفاظِ اللغةِ ويسّرَ لهم ذلك بأيسرِ الطرقِ؛ إذ اتخذّ من قافية الكلمةِ (الحرفِ الأخيرِ منها) أساسًا في الترتيبِ، وجعل من الحرف الأخير بابا، والحرف الأول فصلًا، ورتّبَها جميعًا بحسب النظامِ الألفبائي: فمثلا كلمة(الاستئناف) نجدُها في باب (الفاء) فصل (الألف)[3]، مع مراعاةِ الحرفِ الثاني في الثلاثي والثالثِ في الرباعي والرابعِ في الخماسي، ليصبحَ هذا المنهجُ مدرسةً قائمةً بجدِّ ذاتِها سارت عليه فيما بعدُ معجماتُ هذه المدرسةِ.

لعلَّ من أهمّ الاسبابِ التي الجوهريّ يبتدعُ هذا النظامَ في ترتيبِ ألفاظِ المعجمِ طبيعةَ اللغةِ الاشتقاقيةِ، التي تجعلُ من فاءِ الكلمةِ وعينِها غيرَ ثابتتينِ أثناءَ الاشتقاقِ، بخلافِ الحرفِ الأخيرِ، وهو لامُ الكلمةِ (قافية الكلمةِ) فإنّه أكثرُ ثباتًا من غيرِه، فالذي لم تكن له معرفةٌ في الصرفِ سيشتبهُ عليه الأمرُ وخصوصًا الشداةُ من الباحثينَ[4]، وهذا بحدِّ ذاتِه يُعدُّ تيسيرًا للباحثينَ عن الألفاظِ في معجماتِ اللغةِ، إذ وصفَهُ الخطيبُ التبريزيّ بأنّه حسنٌ في ترتيبِه وسهلٌ لمن أرادَ أن يبحثَ فيه[5]؛

([1]) مقاييس اللغة: ج1، ص1.

([2]) مجمل اللغة: 148، 923، والعايد، سليمان بن إبراهيم، تيسير المعجم العربي لدى أحمد بن فارس، مجلة المعجمية –تصدر عن جمعية المعجمية العربية بتونس، عدد/14-15، 1999م: 168.

([3]) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط.4، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م: ج4، ص1333.

([4]) المصدر نفسه، مقدمة الطبعة الثانية: 28.

([5]) المزهر في علوم اللغة العربية: ج1، ص97.

إذ النظامُ الذي سارَ عليه "ييسّرُ لكلّ إنسان العثور على ما يبحثُ عنه من ألفاظٍ وباطّراحهِ نظام ابنِ دُريد وابن فارس المعقّد على الرغمِ من سيرِهما على الألفباءِ وبرفضِه نظامِ التقاليبِ"[1].

وكلُّ معجمٍ من معجماتِ هذه المدرسةِ كان مؤلّفُه يقصدُ التيسيرَ في صنيعِه، زيادةً على التيسيرِ في منهجِه:

- فنجدُ الجوهري يذكرُ في مقدمتِه أنّه التزمَ الصحيحَ من الألفاظِ، وجعلَ البحثَ عن الألفاظِ في معجمِه يسيرًا، إذ يقولُ: "وقد أودعتُ هذا الكتابَ ما صحَّ عندي من هذه اللغةِ التي شرّفَ اللهُ منزلتَها، وجعلَ علمَ الدينِ والدنيا منوطًا بمعرفتِها على ترتيبٍ لم أُسبقْ إليه وتهذيبٍ لم أغلبْ عليه..."[2].

فالترتيبُ الذي قصدَه الجوهري هو النظامُ الذي سارَ عليه في معجمِه، وهو ترتيبُ فيه من التيسيرِ على الباحثِ غيرُ موجودٍ في غيرِه من معجماتِ المدرستينِ السابقتينِ، وهو "بابتكارِه هذا النظامَ سهّلَ الطريقَ وذلّلَ الصعابَ وقرّبَ السبيلَ للباحثِ والطالبَ"[3].

- أمّا الصغاني فيذكرُ في مقدمةِ معجمِه الهدفَ من وراءِ تأليفِه فيقولُ: "هذا كتابٌ جمعتُ فيه ما تفرّقَ في كتبِ اللغةِ المشهورةِ والتصانيفِ المعتبرةِ المذكورةِ وما بلغني مما جمعَه علماءُ هذا الشأنِ والقدماءُ الذين شافهوا العربَ العرباءَ...آتيًا على عامّةِ ما نطقتْ به العربُ خلا ما ذهبَ منها بذهابِ أهلِها من المستعملِ الحاضرِ، والشاردِ النادرِ"[4]. ونفهمُ التيسيرَ في كلامِ الصغاني من غايتِه في تأليفِه معجمَه، فهو أرادَ أن يجمعَ ما تناثرَ وتفرّقَ في معجماتِ اللغةِ في معجمٍ واحدٍ؛ ليوفّرَ على الباحثِ الوقتَ والجهدَ اللذين يبذلُهما في حال بحثِه عن الألفاظِ، فبدلًا من أن يراجعَ الباحثُ المعجماتِ على كثرتِها، ويبذلَ الجهدَ ويستغرقَ الوقتَ قدّمَ له الصغاني معجمَه هذا؛ ليييسّرَ عليه عمليةَ بحثِه.

زدْ على ذلك أنّ الصغاني كان يشرحَ المسائلَ المجملةَ التي ذُكِرتْ في المعجماتِ قبلَه ويزيلُ غموضَها وينسبُ الشواهدَ الى قائليها ويكملُ المبتورَ منها[5].

([1]) المعجم العربي نشأته وتطوره: ج2/389.

([2]) الصحاح: ج1، ص33.

([3])أبو سكين، عبد الحميد محمد، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ط.2، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، مصر، 1402هـ-1981م: 94.

([4])الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد (ت650هـ)، العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق: د.ڤير محمد حسن، ط.1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1978م: مقدمة المؤلف: 1.

([5]) المعجم العربي نشأته وتطوره: ج2/426-427.

- وابنُ منظورٍ يشرحُ لنا سببَ تأليفِه معجمَه فيقولُ: "ولم أجدْ في كتبِ اللغةِ أجملَ من تهذيبِ اللغةِ لأبي منصورٍ محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من المحكمِ لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيدة الأندلسي، رحمَهما اللهُ،...غيرَ أنَّ كلًّا منهما مطلبٌ عسرُ المهلكِ، ومنهلٌ وعرُ المسلكِ، وكأنَّ واضعَه شرعَ للناسِ موردًا عذبًا وجلاهم عنه، وارتادَ لهم مرعًى مربعًا ومنعهم منه، قد أخّرَ وقدّمَ، وقصدَ أن يعربَ فأعجمَ. فرّقَ الذهنَ بين الثنائي والمضاعف والمقلوب، وبدّدَ الفكرَ باللفيفِ والمعتلِّ والرباعيّ والخماسيّ فضاعَ المطلوبُ...وليس لذلك سببٌ إلا سوءُ الترتيبِ، وتخليطِ التفصيلِ والتبويبِ" [1]، ويذكرُ الصعوباتِ التي وقعتْ في كتابِ ابنِ الأثيرِ (النهاية في غريب الحديث) إذ يقولُ: "غير أنّه لم يضعْ الكلماتِ في محلّها، ولا راعى زائدَ حروفِها من أصلِها، فوضعتُ كلًّا منها في مكانِه، وأظهرتُه مع برهانِه ؛ فجاءَ هذا الكتابُ بحمدِ اللهِ واضحَ المنهجِ سهلَ السلوكِ"[2].

ولارتباط اللغةِ العربيةِ بالقرآن الكريمِ عقدَ ابنُ منظور فصلًا خاصًّا بتفسيرِ الحروفِ المقطّعةِ الواردةِ في أوائلِ بعضِ سورِ القرآنِ الكريمِ، ولم يكن ابنُ منظور الوحيدَ الذي ذكرَ هذه الحروفَ المقطّعةَ وإنما أخذها من تهذيبِ الأزهري، كما صرّحَ بذلك في مقدمةِ اللسانِ، وبيّنَ سببَ تقديمِه إيّاها في مقدمةِ معجمِه على الرغمِ من أنّ الأزهري جعلَها في آخرِ معجمِه (التهذيب)، وكان هذا التقديم لسببينِ عند ابنِ منظورٍ[3]:

أ- سببٌ ديني يرتبطُ بأقدسِ كتابٍ وهو القرآنُ الكريمُ؛ للتبرّكِ به.

ب-سببٌ تيسيريٌّ وهو أنّ تقديمَها في بدايةِ المعجمِ فيه تيسيرٌ للمطالعِ فبدلًا من أن يذهبَ الباحثُ إلى نهايةِ الكتاب-على ضخامةِ حجمِه- ويبحثُ عن هذه المعلوماتِ التي ذُكِرتْ عن هذه الحروفِ سيجدُها في المقدمةِ واضحةً مشروحةً.

ونراه أيضًا قد جمعَ الكلماتِ الواويةِ واليائيةِ في باب واحد سواءً تغيّرت هذه الواو والياء بالابدالِ أو الإعلالِ إلى ألفٍ لينةٍ أو همزةٍ، أو بقيتا على حاليهما[4]؛ إذ هذا من شأنِه أن ييسرَ على الباحثين إيجاد الكلماتِ التي شكّلت الواو أو الياء أصلًا فيها، حيث أنّها مجموعةٌ في بابٍ واحدٍ.

من خلالِ ما تقدّمَ بيّنَ لنا ابنُ منظورٍ الصعوباتِ التي وقعت في المعجماتِ قبلَه، إذ أنكرَ على أصحابِها تخليطَهم بين الثلاثي والثنائي المضعّفِ، وأنكرَ عليهم عدمَ وضعِهم الكلماتِ في محلّها

(1)ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، د.ت: ج1، ص7.
(2) المصدر نفسه: ج1، ص8.
(3) المصدر نفسه: ج1، ص9.
(4) المصدر نفسه: ج3/14.

الصحيحِ، مع عدمِ مراعاةِ أصالةِ الحروفِ وزيادتِها، وعالجَ هو بدورِه هذه الصعوباتِ في معجمِه(لسان العرب).

– أما معجمُ القاموس المحيط للفيروزابادي فالتيسيرُ واضحٌ فيه، من تصريحِ المؤلفِ في مقدمتِه التي تحدّثَ فيها عن السببِ الذي دفعَه إلى تأليفِ معجمِه(القاموس المحيط)، إذ يقولُ: "شرعتُ في كتابي الموسومِ بـ(اللامع المعْلَم العُجاب الجامع بين المحكم والعباب) فهما غرّتا الكتب المصنّفة في هذا الباب، ونيّرا براقع الفضل والآداب، وضممتُ إليهما زيادات امتلأ بها الوطاب...غير أنّي خمّنتُه في ستين سفرًا يُعجزُ تحصيلُه الطلاب، وسُئلتُ تقديم كتابٍ وجيزٍ على ذلك النظامِ، وعملٍ مُفْرغٍ في قالبِ الإيجازِ والإحكامِ...ألّفتُ هذا الكتابَ محذوفَ الشواهدِ، مطروحَ الزوائدِ مُعْرِبًا عن الفصحِ والشواردِ...وأسميتُه(القاموس المحيط)؛ لأنّه البحر الأعظم"[1].

واضحُ من مقدمةِ المؤلّفِ أنّه قصدَ التيسيرَ على الطلابِ(الباحثين) من تأليفِه معجمَه، وتتضحُ لنا معالمُ التيسيرِ المذكورةُ في النصّ أعلاه من طريقِ اتباعِ مبدأ الايجازِ في معجمِه، وذلك بحذفِ الشواهدِ التي يستطيعُ الاستغناء عنها ويُعدُّ ذكرُها فضلةً، على اختلافِ أنواعِها (قرآنية، وحديثية، وكلامِ عربٍ)، فضلًا على الاستغناءِ عن أسماءِ الاعلامِ، وبعضَ التفسيراتِ الطويلةِ التي تُعدُ من الاستطرادات.

ويمكن أن نرصدَ معالمَ أخرى للتيسيرِ كانت واضحةً في معجمِ (القاموس المحيط)، وهي كالآتي:

أ– استعملَ رموزًا خاصّةً لتدلَّ على أشياء محددة؛ طلبًا للاختصارِ، إذ استعملَ(ع) للموضعِ، و(د) للبلدِ، و (ة) للقريةِ، و(ج) للجمعِ، و (م) للمعروفِ[2].

ب–في البابِ الذي خصصَّه للواو والياء كان يفتتحُ الحديثَ عن الجذرِ اللغوي الذي هو بإزائه بحرفِ (و) أو (ي) [3]، لأنَّ أغلب الكلمات التي لامُها واو أو ياء قد حدثَ فيها اعلالٌ بالقلبِ فتحوّلتْ إلى ألفٍ، فأرادَ الفيروزابادي بهذا الاجراءِ أن ييسّرَ على الباحثِ معرفةَ أصلِ هذه الألفِ التي انتهت بها الكلمةُ أ هي واوٌ أو ياءٌ؟، فيقولُ عن هذا الأمرِ: "ومن أحسن ما اختصَّ به هذا الكتاب: تخليص الواو من الياء، وذلك قسم يسم المصنفين بالعيّ والإعياء"[4].

([1])الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط6، مؤسسة الرسالة، 1998م: مقدمة المؤلف: 26–27.

([2]) المصدر نفسه: 28.

([3]) المصدر نفسه: باب الواو والياء: 1257.

([4]) المصدر نفسه: 27.

– أما مرتضى الزبيدي فيخبرُنا عن هدفِه من تأليفِ معجمِه (تاج العروس من جواهر القاموس) الذي هو في حقيقتِه شرحٌ للقاموسِ المحيطِ للفيروزابادي، فيقولُ في مقدمةِ معجمِه: " فلمّا آنستُ من تناهي فاقةِ الأفاضلِ إلى استكشافِ غوامضِه والغوص على مشكلاتِه...قرعتُ ظنوبَ اجتهادي واستسعيتُ يعبوبَ اعتنائي في وضعِ شرحٍ عليه، ممزوجِ العبارةِ، جامعٍ لموادِه بالتصريحِ في بعضٍ وفي البعضِ بالإشارةِ، وافٍ ببيانِ ما اختلف من نسخه، والتصويب لما صحَّ منها من صحيحِ الأصولِ، حاوٍ لذكرِ نكتِه ونوادرِه والكشفِ عن معانيه والإنباه عن مضاربِه ومآخذِه بصريحِ النقولِ"[1].

يتضّحُ من النصّ أعلاه أنّ الزبيدي كانَ يرومُ إلى ذكرِ كلِّ ما وردَ في معجمِ (القاموسِ المحيط) بصورةٍ محققةٍ ومشروحةٍ ليكونَ معجمَه ميسّرًا لما جاءَ في معجمِ الفيروزابادي، زِدْ على ذلك أن الزبيديّ يسّرَ على الباحثِ في معجم (تاج العروس) معرفةَ رأيه؛ فالزبيدي لم يخلطْ رأيَه بغيرِه من الأقوالِ التي ينقلُها في معجمِه، إذ عمدَ نهايةَ المادةِ اللغويةِ إلى ذكرِ ما بدا له من آراءٍ، وكان يبدأ ذلك بعبارةِ (و مما يُستدرك عليه)، ولا يخفى علينا ما لهذه الطريقة من تيسيرٍ على الباحثين في الوقوفِ على رأي الزبيدي في معجمِه.

المبحث الرابع: المدرسة الرابعة: مدرسة الأساس:

رائدُ هذه المدرسةِ أبو القاسم جار الله الزمخشري(ت538هـ)، إذ ألّفَ لنا معجمَ (أساس البلاغة)، وكان يقصدُ منه البلاغةَ المتمثلةَ بوجوهِ الإعجازِ البلاغي، إذ افصحَ عن هذا القصدِ في قولِه: "ولما أنزلَ اللهُ تعالى كتابَه مختصًّا من بين الكتبِ السماويةِ بصفةِ البلاغةِ...ذهبَ عبدُالله الفقيرُ إليه محمودُ بنُ عمرَ الزمخشري، عفا اللهُ تعالى عنه، تصنيفِ كتابِ أساس البلاغة"[2].

رتّبَ الزمخشري معجمَه على نظامٍ يختلفُ عن أنظمةِ المعجماتِ التي سبقته، فيقولُ عنه: "وقد رُتِّبَ على أشهرِ ترتيبٍ متداولًا، وأسهلُه متناولًا، يهجمُ فيه الطالبُ على طَلِبَتِه موضوعةً على طرفِ الثمامِ وحبلِ الذراعِ، من غيرِ أن يحتاجَ في التنقيرِ عنها إلى الإيجافِ والإيضاعِ، وإلى النظرِ فيما لا يوصلُ إلا بإعمالِ الفكرِ إليه، وفيما دقّقَ النظر فيه الخليلُ وسيبويه"[3].

واضحٌ من هذا النصّ مبدأ التيسيرِ الذي قصدَه الزمخشري في معجمِه، فهو واعٍ للصعوبات التي تضمنتها المعجماتُ السابقةُ، فابتدعَ نظامًا للترتيبِ يختلفُ عن أنظمةِ المعجماتِ الأخرى، وهو

([1]) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، ط، مطبعة حكومة الكويت، 1965م: ج1، ص3-4.

([2]) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط.1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م: ج1، ص15.

([3]) المصدر نفسه: ج1، ص16.

"النظامُ الحديثُ الذي ينظرُ إلى الأوائل فإذا اتفقت ينظرُ إلى الثواني فإذا اتفقت ينظرُ إلى الثوالثِ"[1]، ومن المعجماتِ التي سارت على هذا المنهجِ: معجمُ (المصباح المنير) للفيومي (ت770هـ)، ومعجمُ (مختار الصحاح) لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت760هـ).

قسّمَ الزمخشري معجمَه على أبوابٍ وفقَ النظامِ الألفبائي المعروفِ: فالأوّلُ بابُ الهمزةِ، فبابُ الباءِ، ثمَّ بابُ التاءِ... إلى بابِ الياءِ. ويضمُّ البابُ الألفاظَ التي أولُها حرفُ البابِ المعقودِ، وقسّمَ البابَ الواحدَ على فصولٍ، ولكنّه لم يطلق لفظةَ(فصلٍ) عليها، ورتّبَ موادَّ الفصلِ بحسبِ الحرفِ الثاني والثالث إن كانت الكلمةُ ثلاثيةً، وبحسبِ الحرفِ الثالثِ والرابعِ إن كانت رباعيةً، وبحسبِ الحرفِ الثالثِ والرابعِ والخامسِ إن كانت خماسيةً[2].

فمعالمُ التيسيرِ واضحةٌ في (اساس البلاغة)، ويمكن تلخيصُها في الآتي:

أ- اتباعُ النظامِ الألفبائي المعروفِ لدى عامّةِ الناسِ وبحسبِ أوائلِ أصولِ الكلماتِ، الذي وصفُه الزمخشري بأنّه نظامٌ مشهورٌ ومتداولٌ وسهلٌ متناولٌ[3].

ب-تفسيرُ المادةِ اللغويةِ وشرحُ معناها يتمُّ داخلَ السياقاتِ المختلفةِ التي ترِدُ فيها اللفظةُ[4]، وكأنّه يهيّأ بيئةً لغويةً يسرحُ فيها المتعلمُ بخيالِه ليستوعبَ المجازَ اللغوي الذي تحملُه العباراتُ المستعملةُ.

ت-بعد أن ينتهي الزمخشري من إيرادِ معنى اللفظةِ التي هو بإزائها يذكرُ معناها المجازي المتداولِ في كلامِ العربِ، وكان ينبّه إلى ذلك بعباراتٍ مختلفةٍ، فيقولُ: (ومن المجاز) و(ومن الكناية)[5]، وفي هذه الطريقةِ تيسيرٌ للباحثِ إلى معرفةِ المعنى المجازي بصورةٍ لا تحتاجُ منه إلى إعمالِ الفكرِ للوصولِ إليها.

- أمّا معجمُ (المصباح المنير) للفيومي فهو من المعجماتِ الموجزةِ؛ إذ هدفَ مؤلفُه إلى اختصار كتابٍ كان قد ألّفَه في (غريب شرح الوجيز للرافعي)؛ فيقولُ: "فإنّي كنتُ جمعتُ كتابًا في غريب شرح الوجيز للإمام الرافعي وأوسعتُ فيه من تصاريف الكلمة وأضفتُ إليه زياداتٍ من لغةِ غيرِه...غير أنّه افترقت بالمادةِ الواحدةِ أبوابُه فوعرت على السالكِ شعابُه...فجرَّ إلى مللٍ ينطوي على خللٍ فأحببتُ اختصارَه على النهجِ المعروفِ والسبيلِ المألوفِ ليسهلَ تناولُه بضمِّ منتشرِه ويقصرَ

([1])عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب -مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط.6، القاهرة، عالم الكتب، 1988م: 217.

([2]) المعجم العربي نشأته وتطوره: ج2/553.

([3]) اساس البلاغة: ج1، ص16.

([4]) المعتوق، أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ط.1، بيروت، دار النهضة العربية، 1428هـ، 2008م: 45.

([5]) اساس البلاغة: ج1، ص17-23.

تطاولُه بنظمِ منتثرِه"[1]، ويستمرُّ الفيومي بشرحِ طريقتِه في عرضِ الموادِّ اللغويةِ في معجمِه، ويُفهمُ منها أنّه قصدَ التيسيرَ من مؤلَفِه هذا، ومن معالم التيسيرِ في هذا المعجمِ ما يأتي:

أ- كان ينصُّ على حركةِ بنيةِ الكلمة التي هو بإزائها ليسّرَ على الباحثِ نطقِها بالشكلِ الصحيحِ، نحوُ ما يقولُ: "الأيّل: بضمّ الهمزةِ وكسرِها والياءُ فيهما مشدّدةٌ مفتوحةٌ ذكرُ الأوعالِ وهو التيسُ الجبليُّ"[2].

ب- لم يكتفِ بذكرِ حركةِ البنيةِ وأنما ذهبَ إلى ذكرِ كلماتٍ معروفةٍ ومتداولةٍ يقيسُ عليها الكلماتِ الغامضةِ، نحو ذلك قولُه في معنى (إنىً): "و(إنْيٌ) وزانُ حِمْلٍ...(أناةٌ) وزانُ حَصَاةٍ...و(آنيتُه) بالمدِّ أخرتُه والاسمُ (الأناءُ) وزانُ سلامٍ"[3].

ت- ألحقَ الفيومي بمعجمِه خاتمةً مختصرةً جمع فيها قواعدَ من النحوِ والاشتقاقِ ومسائلَ في التصريفِ والمصادرِ والجموعِ والتذكيرِ والتأنيثِ والتفضيلِ والنسبِ[4]، وفي ذلك تيسيرُ واضحٌ لمن أرادَ أن يراجعَ مثلَ هكذا موضوعاتٍ وبصورةٍ مختصرةٍ ومشذّبةٍ.

- ويطالعُنا معجمُ (مختار الصحاح) ضمنَ معجماتِ هذه المدرسةِ، إذ رامَ مؤلفُه أن يختصرَ معجمَ (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، يقولُ في خطبتِه التي افتتحَ بها معجمَه: "هذا مختصرٌ في علمِ اللغةِ جمعتُه من كتابِ الصحاحِ للإمامِ العالمِ العلّامةِ أبي نصرٍ إسماعيل بن حمّاد الجوهري رحمَه اللهُ تعالى...واقتصرتُ فيه على ما لابدَّ لكلِّ عالمٍ فقيهٍ، أو حافظٍ، أو محدّثٍ، أو أديبٍ من معرفتِه وحفظِه...واجتنبتُ فيه عويصَ اللغةِ وغريبِها طلبًا للاختصارِ وتسهيلًا للحفظِ"[5].

معالمُ التيسيرِ واضحةٌ في كلامِ الرازي، إذ جاءَ المعجمُ مختصرًا إلى الحدِّ الذي يمكنُ لعامةِ الباحثين أن يجدوا مبتغاهم فيه، ولا يقتصرُ على المتخصصين فحسب.

ومن معالمِ التيسيرِ في هذا المعجمِ أيضًا أنَّ المؤلّفَ يذكرُ الكلمةَ على هيأتِها المستعملة ضمن الحرف الذي عقدَ البابَ به، ثمَّ يشيرُ إلى مكانِها الحقيقي في المعجمِ، نحو ما جاءَ في الألفاظِ الآتيةِ في قولِه: "آخِيّةٌ – في أ خ ا، آفَةٌ – في أ وف، آه – في أ وه، آهة – في أ وه، إبّان – في أ

(1) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط.2، دار المعارف، القاهرة، ت: مقدمة المؤلف.

(2) المصدر نفسه: ج1، ص33.

(3) المصدر نفسه: ج1، ص28.

(4) المصدر نفسه: ج684/2.

(5) الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، اخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م: خطبة المؤلف.

ب ن "[1]، فهو بهذه الطريقةِ ييسّرُ على الباحثِ أن يصلَ إلى مبتغاه بصورةٍ سهلةٍ من دونِ إعمالِ للفكرِ في مسائلِ اللغةِ كالاعلالِ والابدالِ والقلبِ المكاني.

الخاتمة:

بعدَ هذه النظرةِ الفاحصةِ التي شملت المدارسِ المعجميةِ على اختلافِ مشاربِها ومناهجِها لا يمكننُا أن نحكمَ على كثرتِها بالاعتباطيةِ؛ فعلماؤنا القدماءُ كانوا يقصدونَ التيسيرَ مما ألفوا من معجماتٍ، فهم على وعي تام بما يحتاجُه الباحثُ من وقتٍ وجهدٍ كبيرينِ في حالِ بحثِه عن معنى لفظةٍ معينةٍ في أحدِ معجماتِ اللغةِ، لذلك عملوا جاهدينَ على تقديمِ أفضلِ السبلِ وأيسرِها في عملية البحثِ عن معاني الألفاظِ، معتمدين على كلِّ الوسائلِ التي تحققُ هذه الغايةَ؛ لذلك عمدت كلُّ مدرسةٍ من المدارسِ المعجميةِ إلى اتباعِ منهجٍ معينٍ في ترتيبِ ألفاظِ اللغةِ، تراه من وجهةِ نظرِها المنهجَ الأيسرَ، وغيرِها من وسائلِ التيسيرِ وطرقِه كالشرحِ والتفصيلِ والتهذيبِ والتشذيبِ.

ويمكنُنا أن نوجزَ أهمَّ ما توصلَ إليه هذا البحثُ، وعلى النحوِ الآتي:

1- نشأةُ المعجمِ العربي ابتداءً هي حركةٌ تيسيريةٌ أرادَ منها أصحابُها أن ييسّروا على الباحثين عمليةَ الوصولِ إلى مفرداتِ اللغةِ لمعرفةِ معانيها، وكان الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيدي رائدُ المعجميينَ في هذه الخطوةِ، عندما قامَ بتأليفِ معجمِه (العين)، وفتحَ البابَ بعدَه للتأليفِ في هذا النوعِ من المؤلفاتِ.

2- كلُّ مدرسةٍ معجميةٍ ابتكرت لها منهجًا خاصًا لترتيبِ مفرداتِ اللغةِ، إذ كلُّ مدرسةٍ تحاولُ أن تقضي على الصعوباتِ التي ظهرت في المدرسةِ التي قبلَها، وتحاولُ تذليلَها.

3- تنوعت طرقُ التيسيرِ التي توسلت بها المدارسُ المعجميةُ لتحقيقِ غرضِ التيسيرِ، منها: ابتكارِ منهجٍ سهلٍ لترتيبِ مفرداتِ المعجمِ، والاختصارِ الذي اتصفت به بعض المعجماتِ عن طريقِ حذفِ ما لا يؤثرُ حذفُه في تأليفِ المعجمِ، كالشواهدِ اللغويةِ واسماءِ الأعلامِ والمسائلِ الصرفيةِ والنحويةِ، والمصطلحاتِ.

4- لم يكنْ التيسيرُ على مستوى المدارسِ المعجميةِ فحسب؛ بل هناك محاولات للتيسيرِ اتبعَها العلماءُ داخلَ المدرسةِ الواحدةِ، فاللاحقُ يحاولُ أن ييسّرَ عملَ السابقِ، كما فعلَ –على سبيلِ التمثيلِ– صاحبُ معجمِ (مختار الصحاح)، الذي ألّفه ليختصرَ (صحاح) الجوهري.

([1]) المصدر نفسه: 1 (باب الهمزة).

5- ليس التيسيرُ يعني دائماً الاختصار، بل قد يكون من طريقِ الشرحِ والتفصيلِ، كما فعلَ –على سبيلِ التمثيلِ– الزبيديُّ في معجمِه (تاج العروس) الذي ألّفَه ليشرحَ (القاموس الكحيط) للفيروزابادي، ويكشفَ غوامضِه، وكان يُضيفُ آخرَ كلِّ مادةٍ ما تركه الفيروزابادي ويصدّرُه بعبارة (مستدرك عليه).

6- أكثرُ المدارسِ تيسيرًا (مدرسة الأساس) لرائدِها الزمخشري، إذ رتبت هذه المدرسةُ معجماتِها على النظامِ الألفبائي المعروفِ، الذي لا يتطلبُ من الباحثين إعمال الفكرِ في مسائلِ الاعلالِ والابدالِ والقلبِ المكاني، لذلك نجدُ أنَّ أغلبَ المعجماتِ الحديثةِ اتخذت من هذا النظامِ سبيلًا لترتيبِ المفرداتِ، وهذا ما نجدُه اليوم في معجماتِ اليسوعيين، ومعجماتِ المجمعِ اللغوي المصري.

التوصيات:

في ضوءِ النتائجِ التي توصّلَ إليها البحثُ يوصي الباحثُ بما يأتي:

1. اجراءُ دراسةٍ موازنةٍ بين معجماتِ القدماءِ ومعجماتِ المُحدَثينَ لمعرفةِ طرقِ التيسيرِ المتبعةِ بين الفريقينِ.

2. إجراءُ دراسةٍ مقابلةٍ بين معجماتِ اللغةِ العربيةِ ومعجماتِ إحدى اللغاتِ الأجنبيةِ التي فيها معجماتٌ للألفاظِ؛ للوقوفِ على فكرِ علمائنا الأفذاذِ في طرقِهم لترتيبِ ألفاظِ اللغةِ، ومعرفةِ مدى استفادةِ الآخرين من أفكارِ علماءِ العربيةِ الأوائلِ في هذا المجالِ.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن سيدة، علي بن إسماعيل (458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: عبدالستار أحمد فرّاج، ط1، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، 1958م.

2- ابن فارس، لأبي الحسين أحمد بن زكريا (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

3- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا اللغوي(395هـ)، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1406هـ-1986م.

4- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

5- أبو سكين، عبد الحميد محمد، المعاجم العربية مدارسها ومناهجها، ط.2، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، مصر، 1402هـ-1981م.

6- أحمد، عبد السميع محمد، المعاجم العربية دراسة تحليلية، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1984م.

7- الأزدي، ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن البصري(321هـ)، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت، ت.

8- الازهري، تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد (ت370هـ)، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، 1384هـ - 1964م.

9- أمين، أحمد، ضحى الاسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م.

10- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط.4، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1990م.

11- الحر، عبد المجيد، المعجمات والمجامع العربية -نشأتها-أنواعها-نهجها-تطورها، ط1، دار الفكر العربي، بيروت-لبنان، 1994م.

12- ذياب، محمد عبد، ارهاصات المدارس المعجمية العربية وتطورها، بحث منشور في مجلة الباحث، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الفلوجة، عدد(2)، مجلد(13)، 2021 م.

13- الرازي، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، اخراج: دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.

14- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فرّاج، ط، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.

15- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (538هـ)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ-1998م.

16- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط3، مكتبة دار التراث، القاهرة، ت.

17- الصغاني، رضي الدين الحسن بن محمد (650هـ)، العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق: د.قير محمد حسن، ط.1، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1398هـ-1978م.

18- العايد، سليمان بن إبراهيم، تيسير المعجم العربي لدى أحمد بن فارس، بحث منشور في مجلة المعجمية –تصدر عن جمعية المعجمية العربية بتونس، عدد/14-15، 1999م.

19- العش، يوسف، أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن احمد، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، العدد (10)، 1941م.

20- عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب –مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط.6، عالم الكتب، القاهرة، 1988م.

21- الفراهيدي كتاب، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (175هـ)، العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، د.ط، دار الرشيد، العراق، 1400هـ-1980م.

22- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط.6، مؤسسة الرسالة، 1998م.

23- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، ط.2، دار المعارف، القاهرة.

24- القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (356هـ)، البارع في اللغة، تحقيق: هاشم الطعان، ط1، دار الحضارة العربية، بيروت، 1975م.

25- المعتوق، أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، 1428هـ، 2008م.

26- نصّار، حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، ط4، دار مصر للطباعة، 1988م.

27- يعقوب، إميل بديع، المعاجم اللغوية العربية–بداءتها وتطورها–، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م.